

تفصل بين الوعى والأشياء ، وغالبا ما ترى حياة الكلمات فى الشعر الردىء قد اقتضبت من أثر الولوج بالتطابق على الخصوص ، فإن اللجوء الى الوعى معناه أن تعريف الدلالة فى ضوء المطابقة خطأ جر الى أخطاء .

لقد سخر العقاد كثيرا من شعر البلاغة لأن الكلمات فيه تفقد حياتها الدافقة ، وتستحيل الى قصاصات يسيرة ليس بينها وبين هذه الحياة نسب واضح ، وعبارة أخرى زعم العقاد أن الكلمات قد تستدل أو يعترىها الضيم بحيث لا يعطى بعضها بعضا إلا أقل القليل . رأى اللغة فى منظار البلاغة تتناول بمعزل عن نشاط الوعى الذى يغيب بعضه فى أثناء بعض لأنه يرمى الى الكل الذى هو فوق الألفاظ . ولاشك أن وقفة البلاغة والبلاغيين قد تكون درسا نافعا فى التحذير من معوقات النمو والنهوض أو المرح الخلاق الذى لا يخلو من شبهة اللعب والطلاقة ، فإذا ضاق بعض القراء بهذه الاصطلاحات أو بعضها فليذكروا أن خطاب العقاد كان موجها الى القارىء العام والقارىء المدقق على السواء ، وأنه كان حريصا على تغيير مانسميه باسم الذوق العام ، وليس حريصا على مصطلحات لا تنفع فى خارج قاعات الدراسة المتحدقة ، المغلقة على ذاتها .

(١٠)

إن الأسس العامة التى قامت عليها البلاغة والنقد العربى (الرسمى) دون استثناء هى أن الحقيقة العامة تستند الى برهان أو استنتاج ، أو تحتاج الى دعم وصدق ، فإذا فقدت هذا الدعم فقدت قدرتها وثقتها بها ، وهذا واضح كل الوضوح فى أحد دعامتى البلاغة العربية فيما سماه عبدالقاهر باسم أسرار البلاغة ، ولو أخذنا نستشرف لكل شىء مما جاء فى هذا المقال لاتسع أماننا مانريد أن نوجزه .

والمهم هو أن العقاد نثر على هذا النظام ، لسبب بسيط هو أنه قرأ وردزورث . وكتابات وردزورث ليست إلا ثورة مركزة على البلاغة ، وهذه قضية سهلة ، فلا غرابة إذا وجدنا العقاد يقول فى أماكن كثيرة إن الشعر هو حقيقة عامة نشيطة لاتستند الى برهان خارجى ، ولا الى استنتاج بالمعنى المألوف . الشعر يحمل برهانه فى نفسه ، أو يحمل صدقه فى داخله ، وإذا لم يكن بد من استعمال لفظ البرهان فالعاطفة هى البرهان ، وقلوبنا حين تقرأ الشعر تعترف بأنه حقيقة ، واعتراف القلب فى رأى